

مخطوط لم يعرف من قبل -

ابن سينا والبعث

للأستاذ سليمان دنيا

(تمة)

—•••••—

إنهينا في مقالنا السابق إلى أن ابن سينا يمكن اعتباره قائلاً بأن البعث روي فقط ؛ وأبنا أن الطاف حول نصوصه في هذا المقام - أخذنا من الشفاء ، والنجلاء ، والإشارات - ينتهي ، رغم تضاربها إلى إنكار البعث الجسماني .

لكن تاريخ الفكر الإسلامي ، ما كان ليقنع من ابن سينا في موضوع خطير كموضوع البعث ، بادعاء قصاره الإسكان والتجوز ، أو الترجيح وغلبة الظن . ليس معه من الشواهد والأدلة - حتى في نظر صاحب الادعاء - ما يسمو به إلى مصاف النظريات العلمية .

وقد كان ابن سينا عند ظن العلم به ، فلم يقنع هو من نفسه ، كما لم يقنع منه العلم ، بهذه الوقفة الحائرة ، فراح يشرع قلبه ليندج عصارة فكره في هذا المقام .

وقد دلنا البحث والتنقيب على أن له في هذا الموضوع كتابين : أحدهما يعرف بـ « رسالة في الببدأ والمعاد » - وثانيهما يعرف بـ « رسالة أنحوية في أمر المعاد » .

وإذا كان ابن سينا قد أفرد كتابين لموضوع كهذا جرت عادة غيره بأن يتكلم عنه كلاماً ، يمد واقفاً في بابه ، ضمن كتاب لا في كتاب مستقل ولا في كتابين ، كان الأمل قويا أن يتكشف ابن سينا على حقيقته في هذه المسألة ، وأن ينجلي الموقف عنده فيها أنجلاء ، لا يبقى معه مجال لهذه البلبلة الفكرية التي أوحث بها كتبه الأخرى ، بما تحمل من أفكار متضاربة ، وأراء متناقضة متعارضة .

رجعت إلى أول الكتابين فإذا هو يقول في مقدمته : « ... وبمد فإنني أريد أن أدل في هذه المقالة على حقيقة ما عند المشائين ، بين المحصلين من حال الببدأ والمعاد ، وتقربا به إلى الشيخ الجليل أبي أحمد محمد بن إبراهيم الفارسي ... الخ » .

ولما كنت قد عرفت رأي ابن سينا في المشائين ، وأنهم عنده من عامة المتفلسفة ، لا من خاصتهم ، وأنه كان ينحو نحوهم ويؤلف على غرارهم حين يكتب للعامّة ؛ أما الخاصة فإنه يدخر لهم آراء أخرى مخالفة لأراء المشائين كثيراً من المخالفة ، يودعها كتباً يختصمهم بها - انظر المقال السابق ، نص منطق المشرفين - ، فقد نزع الثقة من هذا الكتاب كمصدر يؤرخ منه لابن سينا ، وإن صح اعتباره مصدراً يؤرخ منه للمشائين كما يفهمهم ابن سينا إذ ليس يكفي أن يوضع اسم المؤلف على الكتاب ، ولا أن يكون صحيح النسبة إليه ، ليتخذ مصدراً يؤرخ منه له ، بل يجب أن يتحرى رراء الثبوت من صحة النسبة ، عن أصل آخر ليس دون صحة النسبة أهمية ؛ ذلك هو قيمة المؤلف في نظر صاحبه ، أعني ابن ألقم ؟ ! هل ألقم ليصور به فكرته وعقيدته ؟ ! ... أم ألقم لأناس آخرين تنزل فيه إلى مستواهم ؟ ! وفي ضوء هذا يمكن اعتبار الكتاب مصدراً يستمد منه التأريخ لألقم ، أو عدم اعتباره كذلك .

ولا شك أن إغفال هذه النظرة يوقع في خلط واضطراب شديدتين ، وقد تبينت ذلك واضحاً في دراستي للغزالي ؛ إذ تضارب الكتابيون عنه تضارباً شديداً ، وتادوا في بحوثهم إلى أحكام متعارضة ، واعتمد كل منهم في تأييد وجهة نظره ، بكتاب من كتبه صحت نسبته إليه ؛ مما حير العقول وبلبل الأفكار ، ومن أجل هذا اعتبر شخص الغزالي مشكلة من مشاكل العلم التي تتطلب الحل والإيضاح ، قال « ديبور » : « إن أمثال الغزالي معضلة في نظر العلم ، فأشخاصهم حقائق روحية تحتاج إلى توضيح » .

وكان ذلك من غير شك نتيجة لإهمالهم هذا الببدأ الذي هو الطريق الوحيد ، لإضافة الفكرة إلى المؤلف مع الوثوق من أنها تصور رأيه ونحوه عن عقيدته ؛ فلما أخذت في دراستي له بهذا الببدأ ، أبرزته في كتابي عنه « الحقيقة في نظر الغزالي » شخصية واضحة مفهومة ، لا تضارب فيها ولا تعارض .

ومن حسن حظ العلم أن المؤلفين الذين لهم جوانب متعددة ومظاهر متباينة ، قد عنوا بالدلالة على الكتب التي تصور آراءهم التي يرتضونها لأنفسهم ، تمييزاً لها عن غيرها التي تصور أفكاراً

وهذا هو ابن سينا يقرر في مقدمة كتابه «رسالة في المبدأ والمعاد» أنه أفنّه على مذهب المشائين ، فيجب — قبل الحكم بأن ما جاء في الكتاب بصور رأي ابن سينا أولاً بصوره — أن يعرف رأيه في المشائين ، وهل هو بواقفهم ؟ أو يخالفهم ؟ وهذا هو نصه في مقدمة منطق المشركين صريح في أنه لا يدين بكل ما يدين به المشاءون ، ومن المحتمل أن يكون أمر البحث من المسائل التي اختلف فيها معهم ، فلا بد إذن من البحث عن مصدر آخر .

وفضلاً عن ذلك فقد جاء في عبارات الكتاب ما يدل على أن للسؤال عنده غورا ، وأن لها سرا لم يفض به في هذا الكتاب كقوله «وهذا كلام مغلق ، تحته معان كثيرة ، في شرحه على الحقيقة تكون النجاة» .

أصبح الأمل بمد هذا موقوداً بالكتاب الثاني . — رسالة أنحوية في أمر المعاد — ، فلندرسه لتري قيمته في نظر ابن سينا ، بعد ما أجمع الباحثون على صحة نسبته إليه .

والقرائن المحيطة بالكتاب تدل على أن ابن سينا صور فيه رأيه ، وأبان معتقده :

أما أولاً : فلأن ابن سينا وهو يتحدث في الإشارات عن البحث ، أحال استكمال القول فيه على كتاب آخر فيه سمة من القول ؛ والإشارات كما هو معلوم للباحثين بصور آراء ابن سينا التي يدين بها ويمتقدها ، فإذا أحال فيه على كتاب كانت قيمة الكتاب المحول عليه ، خصوصاً بالنسبة للبحث المشترك بين الكتابين ، من قيمة الكتاب المحول فيه ، وقد علمنا أنه نفى يده من الشفاء والنجاة ورسالة في المبدأ والمعاد ، فلم يبق من الكتب التي تصلح أن تكون مرجعاً استوفى البحث واستكملها حتى يصلح للاحالة عليه إلا كتاب «رسالة أنحوية في أمر المعاد» وهناك نصه في الإشارات طليدن ص ١٩٧ «ثم أبسط هذا ، واستغن — وفي نسخة : واستغن — بما تجده في موضع آخر لنا»

وأما ثانياً : فلأن الغزالي قد استمد رأي ابن سينا في البحث من هذا الكتاب ، والغزالي دارس متعمق ، وقريب عهد بابن سينا وبكتبه ، فهو أعرف بما يصور رأيه وبما لا يصوره . وأنهم الغزالي

أخرى لا يدينون بها .

فتلا نجد الغزالي يقول في كتابه «الأربعين في أصول الدين» ط: السكردى ص ٢٥ :

«ومعرفة أدلة العقيدة قد أوردناها في الرسالة القدسية في قدر عشرين ورقة ، وهي أحد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الإحياء .

وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تأنيق في إيراد الأسئلة والإشكالات ، فقد أودعناها كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد»

في مقدار مائة ورقة ، فهو كتاب مفرد برأسه يحوى لباب علم المتكلمين ، ولكنه أبلغ في التحقيق ، وأقرب إلى قرع أبواب المعرفة ، من الكلام الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين .

وكل ذلك يرجع إلى الاعتقاد ، لا إلى المعرفة ، فإن المتكلم لا يفارق المسمى إلا في كونه عارفاً ، وكون المسمى معتقداً ، بل هو أيضاً معتقد ، عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ، ليؤكد الاعتقاد ويستتمده ، ويحرسه من تشويش المتبدعة ، ولا تنحل عقدة الاعتقاد إلى انشراح المعرفة .

فإن أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة ، صادفت منها مقداراً يسيراً مبثوثاً في كتاب الصبر والشكر ، وكتاب المحبة ، وباب التوحيد ، من أول كتاب التوكل ؛ وكل ذلك من كتاب الإحياء .

وتصادف منها مقداراً صالحاً يعرفك كيفية قرع باب المعرفة في كتاب «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» لاسيما في الأسماء المشتقة من الأفعال .

وإن أردت صريح المعرفة بمقتضى هذه العقيدة ، من غير محجة ولا مراقبة ، فلا تصادفه إلا في بعض كتبنا المصنوع بها على غير أهلها . وإياك أن تفتت نفسك بأهليته فتستهدف المشافهة بصريح الرد ، إلا أن نجمع ثلاث خصال :

الأولى : الاستقلال في العلوم الظاهرة ، ونيل رتبة الإمامة فيها .

والثانية : انقلاع القلب عن الدنيا بالكافية ...

والثالثة : أن يكون قد أتبع لك السعادة في أصل الفطرة الخ .

والإتهام ١٢ ، وقد ثبت أنه ثقة خصوصاً في تلك المسألة التي أجرينا امتحانها فيها .

وبعد فلملنا أبا الفارسي الكرمي قد شوقناك إلى كتاب « رسالة أئمة في أمر الماد » ، وما راه كمن سمع ، تقريباً إن شاء الله يكون في يدك ، فلقد بفضل مشكوراً الأستاذ البحانة مدير المعهد الفرنسي باستحضار صور لجميع مخطوطاته الموجودة في مكتبات العالم ، ليستعان بها على إخراج نص صحيح ، وقد راجعنا هذه الأصول كلها ، وعلقتنا عليها ، وقدمنا الكتاب للطبع ، وهو الآن بالمعهد ينتظر دوره .

سليمان رنيا

مدرس الفلسفة وعلم العقيدة
بكلية أصول الدين

بأن خصومته لابن سينا تمنع من التمويل على رأيه فيه ؛ يدفعه أن المدافعين عن ابن سينا ضد النزالي أمثال ابن رشد ، لم يحاولوا قط أن يهتموا النزالي - خصوصاً في هذه المسألة - بأنه استقى معلوماته عنها من مصادر لا تعبر عن وجهة نظر ابن سينا التي يدب بها .

وأما ثالثاً : فلأن الكتاب نفسه ، ليس فيه شيء مطلقاً ، يدل على أن ابن سينا لم يعبر فيه عن رأيه ، ولم يصدر فيه عن معتقده ؛ والأصل في الكتاب - متى صحت نسبته لصاحبه - أنه يصور رأيه ، إلا إذا وجد من القرائن والدلائل ما يعبر عن ذلك .

وفضلاً عن هذا فالكتاب يتلخص في مرحلتين :

إحداها : التعريف بكل الآراء التي قيلت في المسألة .

والثانية : نقد كل هذه الآراء ، إلا رأياً واحداً استبقاه واستصفاه ، وساق على صحته كثيراً من الأدلة . ويحس قارىء الكتاب أن ابن سينا أفرغ في هاتين المرحلتين كل قواه ، فلم يدخر جهداً في هدم ما هدم ، ولم يدخر وسماً في تأييد ما أيد .

وعملية النفي والإببات على هذا النحو من التبع والتقصي ناطقة بأنها المنهج الصحيح للإبانة عن مذهب المؤلف ورأيه الشخصي .

وفي كتاب « رسالة أئمة في أمر الماد » هذا ، نجد ما حكي النزالي عن ابن سينا من أدلة إنكار البعث الجسماني ؛ وعند ذلك نجد ما نصد به تلك الثمرة التي كانت شاعرة في تاريخ الفكر الإسلامي . وكنا قد أبنا في مقالنا السابق أن لهذه الثمرة جانبين : أحدهما : يتصل بابن سينا ، أعني هل قال ما نسبته إليه النزالي في كتابه التمهات من أدلة إنكار البعث الجسماني ، أم لا ؟ ، ضرورة أنه إن كان قائلًا بها ، يكون قائلًا بإنكار البعث الجسماني على سبيل القطع ، دون أن يفسح المجال لشك أو تردد . وقد ثبت أنه قائل بها .

وثانيها : يتصل بالنزالي ، أعني هل هو ثقة حين يتحدث عن فرق خاصهم ورد عليهم ، ممن طال المهديهم بحيث لا يتيسر لنا الرجوع إلى مصادرهم الأصلية ؟ أم هو في موضوع الشك

مجلس سريرية فنا

إدارة الهندسة القروية

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم الثلاثاء

٢٧ - ٧ - ١٩٤٨ عن إصلاح دورات

مياه مساجد بنواحي مركزى الأقصر

وإسنا ولغاية ظهر يوم الأربعاء ٢٨ - ٧ -

١٩٤٨ عن إصلاح دورات مياه

مساجد بنواحي مركزى ابو طشت ونجع

حمادى ولغاية ظهر يوم الخميس ٢٩ - ٧ -

١٩٤٨ عن إصلاح دورات مياه

مساجد بنواحي مراكز قناودشنا وقوص

ويقدم الطلب على ورقة عمدة قئة

الثلاثين ملياً للحصول على كل نسخة من

الشروط والمواسفات من الإدارة الهندسية

بقنا نظير دفع مبلغ جنيه لكل قطاع

بمخلاف مائة مليم نظير أجرة البريد ويمكن

الاطلاع على البيانات والرسومات بالإدارة

الهندسية القروية بقنا .

٩٧٤١